خمسة وعشرون عاماً على إغلاق بيت الشرق

قراءة في تجربة فيصل الحسيني: الإنسان والمؤسسة والمدينة

مالك زبلح*

أغلقت سلطات الاحتلال الإسرائيلي بيت الشرق في القدس صباح العاشر من آب/أغسطس 2001، بعد اقتحام المبنى ومصادرة وثائق منه وتعطيل أجهزة الحاسوب وإغلاق الشوارع المحيطة به.[1] وبعد خمسة وعشرين عاماً، ما زال بابه مغلقاً، لكن قراءة تجربته تتجاوز استعادة واقعة سياسية، فربع قرن من الغياب يطرح ثلاثة أسئلة: ماذا فقدت القدس بإغلاق بيت الشرق؟ وكيف حوّل فيصل الحسيني رؤيته للمدينة إلى عمل مؤسسي؟ وما الذي تغير في علاقة القدس بأهلها ومؤسساتها ومرجعياتها منذ ذلك الوقت؟

تبدأ قراءتي لبيت الشرق من تجربة شخصية عشتها قبل إغلاقه بسنوات قليلة، ففي عامي 1999 و2000، كنت طالباً جامعياً، وتطوعت فيه ضمن خدمتي المجتمعية، ثم تدربت في دائرة البحث الميداني الاجتماعي التي تابعت أوضاع أسر مقدسية مهمشة اقتصادياً واجتماعياً. يومها، تعرفت إلى المؤسسة من مساحة محددة، ولم أدرك كيف تتصل تلك التفاصيل اليومية بفكرة أكبر عن القدس.

لا تسعى هذه القراءة إلى إعادة كتابة تاريخ بيت الشرق أو توثيق سيرة فيصل الحسيني، وإنما إلى قراءة تجربة عشت جزءاً صغيراً منها، فالعودة إلى الماضي لا تقدم إجابات جاهزة، لكنها قد تساعدنا على طرح أسئلة الحاضر بدقة.

بيت الشرق كما عرفته

عرفت بيت الشرق من الميدان قبل أن أفهم دوره السياسي، فمن المساحة التي أتيحت لي داخله، اقتربت من أسر مقدسية تواجه ظروفاً اقتصادية واجتماعية صعبة، واستمعت إلى احتياجاتها وجمعت معلومات عن واقعها. وفي المقابل، ارتبطت الصورة العامة للمكان بفيصل الحسيني والوفود السياسية والدبلوماسية التي تقصده.

آنذاك، لم أدرك العلاقة بين مؤسسة تمثل عنواناً سياسياً فلسطينياً في القدس، وعمل يتابع التفاصيل اليومية لحياة الناس، احتجت إلى سنوات لأفهم أن الاهتمام بالإنسان لم يكن منفصلاً عن الاهتمام بالمدينة.

فقد امتد عمل بيت الشرق إلى مجالات اقتصادية واجتماعية وتعليمية وثقافية تخص الفلسطينيين في القدس.[2] لذلك لم تعد متابعة الأسرة، في قراءتي اليوم، عملاً اجتماعياً على هامش السياسة، بل جزءاً من رؤية ترى أن حضور الفلسطيني في مدينته يبدأ من قدرته على العيش بكرامة فيها.

فيصل الحسيني: الإنسان الذي حوّل رؤيته إلى مؤسسة

يقود فهم بيت الشرق إلى فهم فيصل الحسيني، بعيداً عن صورته السياسية المعروفة، وأقرب إلى الإنسان الذي حوّل رؤيته للقدس إلى عمل مؤسسي يلامس حياة الناس، وربما تكمن خصوصية تجربته في قدرته على تقصير المسافة بين الفكرة والممارسة.

عاد الحسيني إلى القدس بعد حرب حزيران/يونيو 1967 متسللاً عبر نهر الأردن، واختار الاستقرار فيها رغم الاعتقال والملاحقة، لتصبح مركز عمله السياسي والمجتمعي، وفي عام 1980 أسس بالتعاون مع أكاديميين فلسطينيين، جمعية الدراسات العربية، ثم أنشأ أطراً حقوقية ومجتمعية، إلى أن اتخذ من بيت الشرق عام 1991 مقراً له، فتحول تدريجياً إلى عنوان سياسي فلسطيني ومكان للقاء الوفود والشخصيات الدولية.[3] ولم تكن أهمية هذا المسار في تعدد المؤسسات بقدر الفكرة التي ربطت بينها.

تكشف مقابلة أجرتها معه ربى الحصري عام 1991 جانباً من هذه الفلسفة، فقد تحدث عن «معركة البناء»، وربطها بالبناء الاقتصادي والاجتماعي والتعليمي، ودعا إلى أطر محلية تنطلق من الأحياء لخدمة حاجات الناس، وقال: "وما لم يقم كل فرد بدوره فإن المستقبل سيكون مظلماً".[4] وفي المقابلة نفسها اختصر رؤيته بقوله: "معركتنا هي بالدرجة الأولى الأرض والإنسان".[5]

تساعدني هاتان العبارتان على فهم تجربتي داخل بيت الشرق، فالإنسان لم يكن منفصلاً عن قضية المدينة، والمؤسسة لم تكن غاية في ذاتها، بل أداة لتنظيم قدرة المجتمع على الصمود والفعل. وهنا تكمن إحدى أهم سمات تجربة الحسيني: حيث لم يجعل المؤسسة امتداداً لشخصه، بل حوّل رؤيته إلى عمل مؤسسي قادر على تجاوز الفرد والاستمرار بعده.

عندما كان للقدس عنوان

لم يصبح بيت الشرق عنواناً للقدس بقرار، وإنما اكتسب هذا المعنى من الوظائف والعلاقات التي اجتمعت فيه وحوله، فقد وجد فيه المقدسيون مرجعية فلسطينية، ورأت فيه المؤسسات مظلة للعمل المشترك، بينما عرفته الوفود العربية والدولية مكاناً للوصول إلى الموقف الفلسطيني من القدس.

لكن وصفه بأنه عنوان سياسي لا يقدم الصورة كاملة، فقد جمع السياسة والعلاقات الدولية والبحث والعمل الاجتماعي والاقتصادي والثقافي داخل رؤية تلتقي عند سؤال واحد: **كيف يحافظ الفلسطيني على حضوره في القدس؟**

وتكشف مكانته الدولية جانباً من هذا الدور. ففي عام 1999 استضاف فيصل الحسيني في بيت الشرق لقاءات مع وفود دبلوماسية أوروبية، وتحولت هذه اللقاءات إلى مواجهة سياسية مع إسرائيل، التي رأت فيها مساساً بسيادتها المعلنة على المدينة، ثم اتجهت إلى إصدار أمر بإغلاق بيت الشرق.[6] لم يكن الخلاف على مبنى تعقد فيه الاجتماعات، بل على ما يمثله وجود مرجعية فلسطينية داخل المدينة.

لقد منح بيت الشرق الحضور الفلسطيني مكاناً يمكن الوصول إليه ورؤية أثره، ومن هنا يبدأ فهم ما فقدته القدس بعد إغلاقه.

حين فقدت القدس عنوانها

أُغلق بيت الشرق في 10 آب/أغسطس 2001، بعد نحو سبعين يوماً من رحيل فيصل الحسيني في الكويت في 31 أيار/مايو، وبين التاريخين مفارقة شديدة الدلالة. فقد شيّعت القدس الحسيني بعشرات الآلاف، ودُفن في رحاب الحرم القدسي، في مشهد عكس مكانته والحضور الفلسطيني الذي مثله في المدينة، وبعد أسابيع، اقتحمت سلطات الاحتلال المؤسسة التي ارتبطت به وبمشروعه للقدس.

لكن الخسارة لم تقتصر على المكان، فقد حمل بيت الشرق سنوات من البحث والعمل والمعرفة المتراكمة عن المدينة، ولهذا كانت مصادرة وثائقه وأرشيفه جزءاً أساسياً مما حدث، وشملت المواد التي استولت عليها سلطات الاحتلال وثائق بحثية لا تعوّض وموجودات ذات قيمة، بينها مواد تتصل بالأرض والممتلكات في القدس[7].

لذلك أقرأ الإغلاق بوصفه بداية خسارة تراكمية أكثر من كونه نهاية مفاجئة لمؤسسة، فقد توالت أوامر تجديده، بالتوازي مع إغلاق مؤسسات فلسطينية أخرى داخل المدينة.[8] وبمرور الوقت، أصبح جمع الجهود الفلسطينية ضمن رؤية مشتركة أكثر صعوبة.

بعد خمسة وعشرين عاماً، لم يعد السؤال عن باب ما زال مغلقاً، وإنما عما جرى خارجه: **ماذا تغير في القدس خلال ربع قرن من إغلاق بيت الشرق؟**

ماذا تغير في القدس خلال خمسة وعشرين عاماً؟

لا يمكن ردّ كل ما تغير في القدس خلال ربع القرن الأخير إلى إغلاق بيت الشرق، فالمدينة شهدت تحولات أوسع، لكن الإغلاق كان جزءاً من مسار مسّ بنيتها المؤسسية الفلسطينية، وتشير معطيات فلسطينية إلى أن سلطات الاحتلال أغلقت منذ عام 2001 أكثر من أربعين مؤسسة فلسطينية في القدس، عملت في مجالات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية[9].

ومع ذلك، واصلت مؤسسات ومبادرات أهلية عملها في ظروف معقدة، وحافظت مؤسسات ومراكز ثقافية ومتاحف على مساحات للحضور الفلسطيني.[10] لذلك لا تكمن المشكلة في غياب الفعل المقدسي، فهو حاضر ويتجدد، وإنما في تشتته وصعوبة التقائه ضمن رؤية مشتركة للمدينة.

في المقابل، اتسع حضور المؤسسات والبرامج الإسرائيلية والبلدية داخل الأحياء الفلسطينية، وامتد إلى التعليم والثقافة والخدمات المجتمعية، وقد قرأ باحثون وفاعلون مقدسيون هذا التحول باعتباره سعياً إلى إحلال أطر إسرائيلية مكان المؤسسات الفلسطينية أو منافستها على وظائفها وجمهورها.[11] كما تكشف دراسات حديثة تفاوتاً كبيراً في الإمكانات والقدرات المؤسسية المتاحة[12].

لم تعد المسألة مقارنة عدد المؤسسات التي أُغلقت بعدد المؤسسات التي بقيت، بل كيفية تحويل الطاقات والمبادرات القائمة إلى قدرة مشتركة تحمي الحضور الفلسطيني في مدينته. وهنا تعود فلسفة فيصل الحسيني، لا من باب استعادة تجربة من الماضي، بل بوصفها سؤالًا للحاضر ومدخلًا للتفكير في المستقبل.

كيف نستعيد فلسفة فيصل الحسيني في القدس اليوم؟

لا تكمن قيمة تجربة فيصل الحسيني في تكرارها، فلكل مرحلة ظروفها وأدواتها، وإنما في قراءة ما بقي صالحاً منها للحاضر، وفي مقدمة ذلك فلسفة بدأت من الإنسان وحقه في مدينته، ورأت في المؤسسة وسيلة لحماية هذا الحق وتحويله إلى قدرة مجتمعية وسياسية مستدامة.

تحتاج القدس اليوم إلى مؤسسات قوية تتكامل أدوارها، وإلى معرفة تنطلق من واقع الناس، وإلى رؤية تجمع العمل المجتمعي والسياسي والعلاقات الدولية حول مستقبل المدينة، وربما تكون هذه هي «معركة البناء» التي تحدث عنها فيصل الحسيني قبل أكثر من ثلاثة عقود، وإن اختلفت أدواتها وأولوياتها.

وما عرفته في بيت الشرق عملاً ميدانياً مع أسرة مقدسية، أراه اليوم جزءاً من فلسفة تصل الإنسان بالمؤسسة والمجتمع والمدينة، لذلك لا يقف المطلوب عند إعادة فتح المبنى، على أهمية ذلك، بل يشمل استعادة الفلسفة

التي منحته معناه: **أن يبدأ العمل من الإنسان، وأن تتحول الرؤية إلى مؤسسة، وأن تلتقي المؤسسات حول ما تريد حمايته وبناءه في القدس.**

بعد ربع قرن، قد يكون هذا هو الدرس الأهم في تجربة فيصل الحسيني وبيت الشرق: **لا يكفي أن يكون للقدس عنوان، بل يجب أن تكون وراء هذا العنوان قدرة على الفعل والاستمرار.**

*__مالك زبلح:__ كاتب وباحث فلسطيني من القدس، تتركز اهتماماته على القدس والثقافة والهوية والذاكرة والتحولات الاجتماعية في المدينة.

الهوامش

[1]دائرة شؤون المفاوضات، منظمة التحرير الفلسطينية، «استيلاء إسرائيل على بيت الشرق والمؤسسات الفلسطينية الأخرى في القدس الشرقية المحتلة»، 16 آب/أغسطس 2001، https://www.nad.ps/ar/publication-resources/factsheets/استيلاء-إسرائيل-على-بيت-الشرق-والمؤسسات-الفلسطينية-الأخرى-في-القدس.

[2]دائرة شؤون المفاوضات، «استيلاء إسرائيل على بيت الشرق».

[3]مؤسسة الدراسات الفلسطينية، «فيصل الحسيني»، *الموسوعة التفاعلية للقضية الفلسطينية*، تاريخ الاطلاع 9 آب/أغسطس 2026، https://www.palquest.org/ar/biography/16031/فيصل-الحسيني.

[4]فيصل الحسيني، «الانتفاضة في مرحلة إعادة التقويم والبناء»، مقابلة أجرتها ربى الحصري في القدس، 2 أيار/مايو 1991، *مجلة الدراسات الفلسطينية*، المجلد 2، العدد 6 (ربيع 1991): 89–95، https://www.palquest.org/sites/default/files/lntfD_fy_mrHl_d_ltqwym_wlbn_-_fySl_lHsyny.pdf.

[5]الحسيني، «الانتفاضة في مرحلة إعادة التقويم والبناء».

[6]شيرين أبو عاقلة، «بيت الشرق يجدد الأزمة الأوروبية الإسرائيلية»، تقرير إخباري، الجزيرة، تاريخ البث 13 آذار/مارس 1999، بيت الشرق يجدد الأزمة الأوروبية الإسرائيلية 19/3/1999 | التقارير الإخبارية | الجزيرة نت

[7]هيئة التحرير، «أرشيفات بيت الشرق المنهوبة»، *مجلة الدراسات الفلسطينية*، المجلد 13، العدد 50 (ربيع 2002): 111–112، https://www.palestine-studies.org/sites/default/files/mdf-articles/أرشيفات_بيت_الشرق_المنهوبة.pdf.

[8]مركز المعلومات الوطني الفلسطيني، «مؤسسات فلسطينية أغلقها الاحتلال الإسرائيلي في القدس منذ عام 1967»، وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية «وفا»، تاريخ الاطلاع 9 آب/أغسطس 2026، https://info.wafa.ps/pages/details/30082.

[9]بلال غيث كسواني، «استهداف صندوق وقفية القدس.. محاولة للتضييق على المقدسيين وتهويد المدينة»، وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية «وفا»، 29 نيسان/أبريل 2025، https://www.wafa.ps/Pages/Details/120177.

[10]رانية الياس، «الفضاء الثقافي في القدس المحتلة: ساحة مواجهة بين محو الهوية والصراع على الوجود»، ورقة سياسات، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 12 حزيران/يونيو 2025، https://documentjerusalem.palestine-studies.org/ar/node/10488.

[11]عبد الرؤوف أرناؤوط، «إسرائيل تعمل على إحلال مؤسسات إسرائيلية مكان الفلسطينية بالقدس الشرقية»، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 29 تموز/يوليو 2020، https://www.palestine-studies.org/ar/node/1650420.

[12]محمد مراغة، «المؤسسات الفنية الإسرائيلية العاملة في القدس: محاولات الهيمنة الثقافية واحتواء الفنانين المقدسيين»، ورقة سياسات، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 24 تشرين الأول/أكتوبر 2025، https://www.palestine-studies.org/ar/node/1658050.